واصطفائك

دعوته بسوال ذلك من ربه فمعنى اولم تؤمن تصدق بمنزلتك مني وبخلتك
قلت وفيه نظر لانه يقتضي جواز جهلهم بمراتبهم عند الله تعالى ولا اعلم من نص عليه
الان واللايق بالادب الكف عنه وما اشبهها انه انما سال زيادة اليقين دفعا للطاعنين
اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وان استحال الشك في الضروريات
وجاز على النظريات فاراد الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين
اليقين قلت وهو مبني على طريق صاحب كشف الاسرار من ان علم اليقين هو
المستفاد من الاخبار وعين اليقين هو المستفاد من المشاهدة وحق اليقين هو المستفاد
من المعاينة والمباشرة جميعا اخذا من قوله تعالى في حق الكفار ثم لترونها عين اليقين
ولما دخلوها وباشروا عذابها قال فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين
وهي المختارة من عدة طرق عند المحققين ورابعها انه عليه الصلاة والسلام لما
احتج على نمرود واتباعه من المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه
ليصح احتجاجه عيانا وخامسها ان سواله عليه الصلاة والسلام رؤية احيا الموتى
كناية عن طريق الادب عن سوال اقداره اياه على خلقها وان مراده اقدرني
على احيا الموتى فقوله ليطمئن قلبي معناه لتسكن نفسي عن طلب هذه الامنية
وسادسها انه عليه الصلاة والسلام اظهر صورة الشك من نفسه مع انتفا
الشك عنه قصد الاجابة فيزداد قربه فان قلت فما معنى قول نبينا صلى الله عليه
وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم قلت معناه نفي ان يكون حصل من ابراهيم
شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم عليه الصلاة والسلام اي
نحن موقنون بالبعث واحيا الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه
واورده بهذا اللفظ اما على طريق الادب او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت
قصة ابرهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه كما هو قضية الجواب الثاني وان لك
كما سبق او انه اراد امته الذين يجوز عليهم الشك مع قصد نفي الشك عن ابرهيم
ثم رايت شيخ الاسلام الانصاري ذكر عن صاحب المثل السائر ان افعل ياتي في
اللغة لنفي الشيئين نحو الشيطان خير من زيد اي لا خير فيهما وكقوله تعالى
اهم خير ام قوم تبع قال الزركشي وهو احسن ما يخرج عليه هذا الحديث يعني نحن
احق بالشك من ابرهيم انتهى وهو نفيس فشد به يديك فان قلت فما
معنى قوله تعالى مخاطبا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فاسيل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين قلت
عامة المفسرين على انه صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يسال كما رواه ابن عباس
وابن جبير والحسن وقتادة ثم اختلفوا في معنى الاية فقيل المراد منها قل يا ايها

للشاك

للشاك ان كنت في شك الاية والواو في هذه السورة نفسها ما دل على هذا الدليل وهو قوله
تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله
ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المومنين اي الموقنين وقيل المراد
بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى لئن اشركت ليحبطن
عملك الاية الخطاب له صلى الله عليه وسلم ظاهرا والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية
مما يعبد هؤلا ونظايره كثيرة قالوا وقوله في الاية الثانية ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله قرينة على هذا المراد فانه عليه الصلاة والسلام كان المكذب فيما
دعاهم اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا يدل على ان المراد بالخطاب غيره
ونظير هذه الاية على هذا المعنى قوله الرحمن فاسيل به خبيرا فان المامور بالسوال
غير النبي صلى الله عليه وسلم فمعنى الخبير المسئول لا المستخبر السايل وعلى هذا فالشك
الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم في ازالته بسوال الذين يقرؤن الكتاب
انما هو فيما قصه تعالى من اخبار الامم لا فيما دعا اليه عليه الصلاة والسلام من التوحيد
والشريعة ومن هذا النمط قوله تعالى واسيل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اذ الخطاب مواجهة له صلى الله عليه
وسلم والمراد به المشركون كما قاله القشيري وقيل اصل التركيب اللفظي واسيلنا
عمن ارسلنا من قبلك فحذف المفعول والخافض وبقي الكلام عنه رسلنا ثم ابتدا
فقال على طريق الاستفهام الانكاري اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون
اي ما جعلنا ذلك وقيل المراد اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل وانه
تعالى لم ياذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم
ليقربونا الى الله زلفى والمعنى اسيل الرسل اذا لقيتهم ليلة الاسرا او امهم هل
جاؤهم بغير التوحيد فكان عليه الصلاة والسلام ايقن من ان يسال كما روي عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال للاسراء قد اكتفيت فان قلت فما معنى قوله تعالى
حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراة التخفيف والبنا للمفعول
قلت لم يظنوا ذلك بربهم وانما ظنوه ممن وعدهم النصر من اتباعهم وما شاكلهم
كما قالت عايشة ان يظنوه بربهم وتبعها اكثر المفسرين على ان ضمير ظنوا جعله
ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من اهل العلم عايدا على الاتباع والامم لا
على الانبيا والرسل وعليه تتخرج قراة التخفيف والبنا للعامل فان قلت فما تفعل
بقوله صلى الله عليه وسلم لخديجة في حديث مبتدا الوحي لقد خشيت على نفسي
قلت قال العلما ليس معناه الشك فيما اتاه الله به بعد النبوة ورؤية الملك ما جاءه
اليه وانزله بعظيم فخشيه عليه ولعله انما خشي ان لا تحمل قوته البشرية مقاومة
الملك واعبا الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح من انه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)